Political Economical Reasons For Terrorism: Iraq As A Model

عوامل الإرهاب الاقتصادية والسياسية (العراق نموذجاً)

د.كريم ضمد مشير الفتلاوي / كلية الإدارة والاقتصاد/ جامعة كربلاء

مستخلص

مما لا شك فيه أن أخطر ما يواجه عالمنا اليوم هو تنامي المنظمات الإرهابية التي تهدد الشعوب في العالم أجمع فلم تعد هذه المنظمات مقتصرة على دولة بعينها بل هي اليوم قد غدت ظاهرة دولية خطيرة. ويجري تنفيذ جرائمها في مختلف بلدان العالم شرقاً وغرباً في أمريكا وروسيا واندونيسيا وألمانيا وفرنسا وبريطانيا، ونال العالم العربي الذي غدا المنبع الأكبر لقوى الإرهاب حصة الأسد من هذه النشاطات بسبب استغلال القائمين على المنظمات الإرهابية الدين الاسلامي غطاءً لهم، وغسل عقول الفقراء البسطاء وتسخيرهم لتنفيذ جرائمها البشعة التي تودي بحياة الأبرياء، ولم يعد أي بلد في مأمن من جرائم هذه المنظمات الارهابية التي تتميز بالتنظيم المحكم، ويقوم على إدارة شؤونها ممولون ومجهزون للسلاح ومنظرون يستغلون الوضع الاقتصادي البائس والفقر المدقع الذي يعاني منه مئات الملايين من بني البشر لتجنيد البؤساء لتنفيذ الأعمال الارهابية، كما تتلقى هذه المنظمات دعماً غير مباشر من عدد من الدول الداعمة للإرهاب الدولي.

ان تنامي خطر المنظمات الارهابية قد أصبح اليوم مشكلة دولية خطيرة تتطلب جهداً دولياً مشتركاً للتصدي لهذه الظاهرة ومعالجة الأسباب الحقيقية لتنامي النشاط الإرهابي في جانبيه السياسي والاقتصادي ومن ظن أن القوة العسكرية تستطيع وحدها محاربة الارهاب واستئصاله ظناً فيه ضبابية، فالقوة والعنف وحدهما لا يمكن أن يحققا الأمن والسلام في العالم، ولابد من معالجة الأسباب الحقيقية لظاهرة الارهابية.

إن الذين يلتحقون بهذه المنظمات الارهابية في أغلب الأحوال أما أنهم يعانون من البطالة والفقر المدقع الذي يعتبر البيئة الارحب لانتشار الارهاب أو أنهم قد نشأوا في ظل أنظمة دكتاتورية فاشية مارست الإرهاب ضد شعوبها، وقد يكون البعض يعتقد أن محاربة الاستعمار لن يتم إلا بهذه الطريقة.

Abstract

Nowadays Iraq face a kind of terrorism that has never been seen before. this can be related to a group of reasons like political and economical reasons beasties sons other reasons that are out of the frame of the study such as culture doctrine mass media and other.

The present day tries to encounter the political reasons that one affiliated to dictatorial policy of extent regime on the one hand and the behaviors of the regime's followers or the other hand.

In the economic fact the study aims at concentrates on the effect of the extinct regime on the economical policy and its sociological effect that made terrorism.

It is hypothesized that dictatorial policy of the extinct regime and its economical effect had a great role in creating terrorism in Iraq.

The researcher has adopted the historical approach in his analysis trying to connect event with each other to reach at the following results:

1. All dictatorial regimes and saddam's are the main source of terror.
2. The worry policy of the great countries, and the duality in solving international conflicts.
3. The ideological apprehension that the occupation made created an thoughtful reactions , shown as terror activities.
4. A multitude of wars whose effects created vengeance and murder.
5. The united nation's unjust on behalf of the poor countries the study recommends the followings :

1. It is necessary . for the united states to reconsider its policy in Iraq and deal with the Iraqi people in a way that reflects morals and human rights that it calls far.
2. Finding an economical policy that achieves balance and justice.
3. Mutual debate among civilization and nation.
4. International endeavor to build democratic bases in various world parts.

المنهجية

مما لا شك فيه أن أخطر ما يواجه عالمنا اليوم هو تنامي المنظمات الإرهابية التي تهدد الشعوب في العالم أجمع فلم تعد هذه المنظمات مقتصرة على دولة بعينها بل هي اليوم قد غدت ظاهرة دولية خطيرة. ويجري تنفيذ جرائمها في مختلف بلدان العالم شرقاً وغرباً في أمريكا وروسيا واندونيسيا وألمانيا وفرنسا وبريطانيا، ونال العالم العربي الذي غدا المنبع الأكبر لقوى الإرهاب حصة الأسد من هذه النشاطات بسبب استغلال القائمين على المنظمات الإرهابية الدين الاسلامي غطاءً لهم، وغسل عقول الفقراء البسطاء وتسخيرهم لتنفيذ جرائمها البشعة التي تودي بحياة الأبرياء، ولم يعد أي بلد في مأمن من جرائم هذه المنظمات الارهابية التي تتميز بالتنظيم المحكم، ويقوم على إدارة شؤونها ممولون ومجهزون للسلاح ومنظرون يستغلون الوضع الاقتصادي البائس والفقر المدقع الذي يعاني منه مئات الملايين من بني البشر لتجنيد البؤساء لتنفيذ الأعمال الارهابية، كما تتلقى هذه المنظمات دعماً غير مباشر من عدد من الدول الداعمة للإرهاب الدولي.

ان تنامي خطر المنظمات الارهابية قد أصبح اليوم مشكلة دولية خطيرة تتطلب جهداً دولياً مشتركاً للتصدي لهذه الظاهرة ومعالجة الأسباب الحقيقية لتنامي النشاط الإرهابي في جانبيه السياسي والاقتصادي ومن ظن أن القوة العسكرية تستطيع وحدها محاربة الارهاب واستئصاله ظناً فيه ضبابية، فالقوة والعنف وحدهما لا يمكن أن يحققا الأمن والسلام في العالم، ولابد من معالجة الأسباب الحقيقية لظاهرة الارهابية.

إن الذين يلتحقون بهذه المنظمات الارهابية في أغلب الأحوال أما أنهم يعانون من البطالة والفقر المدقع الذي يعتبر البيئة الارحب لانتشار الارهاب أو أنهم قد نشأوا في ظل أنظمة دكتاتورية فاشية مارست الإرهاب ضد شعوبها، وقد يكون البعض يعتقد أن محاربة الاستعمار لن يتم إلا بهذه الطريقة.

وعلى هذه الأساس فإن هدف هذا البحث ستكون محاولة لتشخيص الأسباب السياسية والاقتصادية لظاهرة الارهاب وتلمس الحلول المناسبة لها كونها تمثل مشكلة حقيقية تقلق الأنظمة والشعوب على حد سواء.

إن الفرضية التي تقوم عليها البحث تتمثل بأن ظاهرة الارهاب بشكل عام والعراق بشكل خاص لها أسبابها الاقتصادية الداخلية والخارجية كما إنها تأتي نتيجة لسياسات النظم الاستبدادية.

ولأثبات صحة الفرضية أو عدمها قسم البحث الى المحاور الآتية:

1- المحور الأول: الأسباب السياسية للإرهاب في العراق.

(1) الخداع وسياسات التظليل.

(2) الاسقاطات الطائفية على المجتمع.

ثانياً: الأسباب الاقتصادية الداخلية والخارجية للإرهاب:

1- الأسباب الداخلية

افرازات سياسات صدام الاقتصادية

2- الأسباب الخارجية

أثر السياسات الخارجية الاقتصادية للإرهاب

3- تحقيق المطالب السياسية أو الاقتصادية

ثالثاً: الخاتمة

1- الاستنتاجات.

2- التوصيات.

الأسلوب :

إن الأسلوب المعتمد في البحث هو الاسلوب التاريخي التحليلي لمعرفة الأساس الفلسفي لظاهرة الإرهاب.

1- الاسباب السياسية للإرهاب في العراق

أولاً: نظام صدام الاستبدادي

جاءت نزعة صدام الاستبدادية نتيجة ثلاث مؤثرات أساسية تتمثل في البيئة التي نشأ فيها وتربى، والمعتقد الذي يعتنقه وثقافته التي أكتسبها من خلال التعليم والممارسة وهذه المرتكزات الثلاثة بمجملها شكلت شخصية صدام الثقافية ألقت بظلالها على المجتمع من خلال:

1- الخداع وسياسة التظليل

نشأ صدام حسين في بيئة وظروف جعلته يائساً مشرداً من ناحية وخلقت له قلق فكري مهدَّ له بأن يبحث عن فكرة لعلها تمكنه الخروج من المأزق الذي يعيشه من ناحية ثانية فكانت فكرة البعث بمثابة الإطار الذي يتحرك من خلاله بطريقة تغطي سلوكه الانتقامي في محاولة لسد النقص الذي كان يعانيه وإشباع روحيته المتصدعة عن طريق الانتقام والتمرد[1] في محاولة لتعويض انعكاسات الفقر والحرمان إبان طفولته.

وقد كان لقلقه الفكري أثراً كبيراً في فهمه الخاطئ للعقيدة التي آمن بها فأتخذ التطرف المؤطر بإطار العصبية القبلية منحاً في فهمه لهذه العقيدة وظل عاجزاً عن إدراكها إدراكاً حقيقياً كما يريده الاسلام دائماً وهو الاعتدال والتوسط ودليل هذا التطرف وسوء

الفهم لأمر العقيدة أنه أمر بكتابة القرآن الكريم بدمه ونسيَّ أن القرآن منزل مطهراً **لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ** فأخترق بذلك الناموس والقانون وشريعة السماء كما في قوله تعالى ﴿ **إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ ...** ﴾ [2]

هذه الازدواجية في فهم العقيدة والقلق الذي يعيشه خُيل له بأن الفكرة القومية يمكن استخدامها كإطار لخدمة نوازعه الشخصية من خلال توظيف شعارات الفكرة القومية المتمثلة بالوحدة والحرية والاشتراكية بأنها تشكل الفكرة الجديدة لنهوض الأمة[3] كبديل للعقيدة الاسلامية متوهماً بأن الخلل في العقيدة لا في المجتمع الذي غادر العقيدة نتيجة الحكم الاستبدادي باسم الدين، وبهذه الطريقة استطاع ان يوظف هذه المناورة في محاولة لقمع أي حس ديني أو عقائدي لدي أية فئة أخرى في العراق عدا وسطه الذي ينتمي له والذي يمثل الوسط المناسب لتنفيذ سياساته العدوانية.

إن تبنيه لهذه الشعارات في الظاهر يعدها تعبير عن طموحات العرب وهي في الواقع وفي مضمونها الحقيقي بعيدة عن هذا الطموح ويمكن استجلاء حقيقة كونها مجرد شعارات من خلال سلوكية النظام.

فالوحدة تعني الاندماج الروحي والمصلحي والواقعي لجمع أجزاء الوطن العربي[4] غير أن سلوكه يشير الى غير ذلك عندما استخدم القوة ضد معارضيه، ومعاداته لسوريا وسوء علاقاته مع جميع الأقطار العربية، وبالضد مما يتطلبه العمل الوحدوي، أما بخصوص الوحدة الوطنية، فهو عمل جاهداً على تفتيت وحدة المجتمع العراقي بالقول والفعل من خلال سياساته الداخلية القائمة على أساس العنصرية والطائفية [5].

والحرية تعني، حرية الرأي والتفكير والاعتقاد، وحرية الأحزاب والصحافة والنقد والانتخاب... هذا في مضمونها الداخلي وتعني التحرر من جميع أشكال الهيمنة وتحقيق الاستقلال السياسي والاقتصادي في مضمونها الخارجي.

غير أن الواقع يشير الى عكس ذلك، فحرية الرأي مصادرة ولا يُجاز العمل لأي حزب، والصحافة مشروط بتبعيتها للنظام، وعلى الكل أن يقبل بشرعية النظام (الحزب القائد) أو الموت[6] أما على مستوى الاستقلال الخارجي، كانت نتائج سياسات النظام الاستبدادي أن جعلت من العراق فاقداً السيادة في شتى الميادين السياسية والاقتصادية والثقافية، بفعل قرارات الأمم المتحدة والحصار[7].

أما الاشتراكية تعني العدالة في التوزيع والحقوق والواجبات ورفع مستوى معيشة المجتمع وتحقيق التنمية الاقتصادية والسياسية، ولكن الحقيقة تؤشر غير ذلك. فالهوة واسعة بين عموم الشعب وأبناء وسطه في مستوى المعيشة ودخول الأفراد جراء انعدام العدالة والعنصرية في اشغال المناصب، والوظائف التي امتاز بها أعوانه ومساعديه وحجبها على فئة دون أخرى.

فكانت الحرية والحياة لأبناء فئته، والموت والتهجير والمقابر الجماعية والسجون لأبناء العراق الآخرين، وكثيرة هي المظالم التي أرتكبها النظام الاستبدادي.

بهذه الهيكلية رسم الشكل التنظيمي لأبناء وسطه فالفكرة القومية تمثل المظهر الخارجي، فيما يكون محتواها فئوي[8] يقوم على أساس الإقصاء والموت والتهجير والمقابر الجماعية، وثقافة الأمية، إضافة الى سياسته التربوية التي خلفت ورائها اعداد هائلة من المجتمع أُميٍّ.

ان اعتماد هذه المنهجية المقصود منها تمرير شعاراته دون وعي من قبل المجتمع وتمكن من خلالها خوض حربين وحصار لا طائلة من وراء كل ذلك سوى الظلم الذي لحقَ بالعراق والعراقيين، بل حتى على العرب واستطاع أن يمرر سياسته تحت شعارات القومية التي ما زالت آثارها تنعكس سلباً تجاه الشعب العراقي.

2- الاسقاطات الطائفية على المجتمع:

انعكست سياسة صدام الطائفية بجملة من المؤشرات تحمَّل وزرها أبناء الشعب العراقي وخصوصاً الطائفة الشيعية والأكراد وبنسب متباينة من تشكيلات الشعب العراقي الأخرى ومن هذه المؤشرات:

(1) رفعت السلطة شعارات قومية وثورية في الظاهر بينما في واقع الأمر كانت موجهة لقمع المجتمع وذات مضامين فئوية في محتواها.

(2) اعتماد أسلوب التغيير الديموغرافي للسكان عبر وسائل منها التصفية الجسدية، والحروب والتهجير الى خارج العراق وسحب الجنسية والتشريد من خلال القمع... الخ.

(3) استخدمت السلطة أساليب متنوعة كذريعة لتهجير الشيعة وعدَّهم من (العجم) وخصوصاً في كربلاء والنجف والكاظمية وبلد والدجيل ونسيَّ النظام أن شيعة العراق هم أصل الاسلام في بلاد فارس ذلك لأن أبناء الكوفة والبصرة هم من حمل الاسلام الى بلاد فارس وهم الذين أشاعوا فكرة التشيع لا بالعكس كما يصورها النظام العراقي.

(4) يدعو النظام الى نبذ الطائفية والدعوة الى الأخوة الدينية في الظاهر في الوقت الذي يبخس الناس أشيائهم ويصادر حقوق الأكثرية طول مدة بقاءه على رأس سدة الحكم.

(5) إن من يريد الاستقرار والأمن لابد أن يحقق العدالة والحرية والديمقراطية وإعطاء الجميع حقوقهم، لكن النظام صادر كل هذا فولدَّ القلق والاضطراب.

(6) ترسيخ الهيمنة الاستعمارية لأن سيطرة فئة على الحكم يكرس الهيمنة الاستعمارية إذ تبقى هذه الدولة لا تعتمد على شعبها تحتاج الى دعم خارجي يحميها.

(7) السمة السائدة للنظام الاستبداد والقمع لأن الأقلية لا تستطيع أن تحكم دون ذلك وأيضاً من خلال القضاء على التمثيل البرلماني الصحيح.

(8) توزيع الامتيازات بطريقة غير عادلة ومنحازة، نتيجة الاستبداد في السلطة انطلاقاً من نوازعه الفئوية، وحرمان غالبية الشعب من أبسط حقوقها.

(9) إن من طائفية الدولة أن تشرد فقراء العراق في أصقاع الأرض لا أن يطلق اصطلاح طائفي على من شرد وسحب هويته وصودرت أمواله.

وفقاً لإحصاء الإدارة البريطانية تشكل نسب السكان للعرب الشيعة 55% العرب السُنة 19% الأكراد السنة 18% الطوائف الأخرى 8% ومنذ ظهور ذلك الإحصاء حتى يومنا هذا ما زالت المصادر الرسمية في العراق تستخدم حصة الشيعة العرب لزيادة نسبة العرب مقابل الأكراد وتستخدم الأكراد السُنة لزيادة نسبة السنة في مقابل الشيعة[9].

إن تياراً واسعاً في المشروع القومي في العراق يسعى منذ قيام ثورة العشرين حتى يومنا هذا الى سلخ الشيعة من العروبة ووصفهم في صف العجم (إن كل شيعي هو إيراني) هذا هو القانون العام الذي استحدث أول مرة على لسان السيد (مزاحم الباججي) في خطابه الذي ودَّع فيه الكولونيل وكيل المندوب السامي البريطاني بعد ان قَمع عسكرياً ثورة العشرين[10].

إن ما يمكن استنتاجه مما تقدم، هو أن الشعور بالهيمنة السياسية ولدَّت نزعة استعلائية لدى أتباع النظام بأنها هي الأقوى وهي صاحبة الحق في حكم الأغلبية، ومع ذلك إن هذه الفئة غير قادرة على تحمل نتائج الواقع وشعورها بالخسارة (حسب تصورها) في ظل النظام الديمقراطي وسيحجم دور هذه الفئة، إضافة الى ان العقلية الثقافية التي نشأت فيها هذه الشخصية، واعتماد القتل جزء في بناء شخصيتها جعل منها تتصرف بعقلية غير واقعية تسلطية تبحث عن إعادة مركزها.

إن ردود الفعل لهذه الفئة بدأ يظهر على شكل ارهاب منظم في محاولة لفرض شخصيتها والحصول على المكاسب غير الشرعية في ظل ظروف قلقة، يعزز ذلك تطرف جزء من هذه الفئة بسبب نزعتها الأصولية المتطرفة في تكفير الأخر، مما دفعها الى إثارة الرعب والفوضى بدوافع متعددة إضافة الى كونها تمثل امتداد لثقافة ماضية رغم انقطاعها عن أصولها الصدامية.

ثانياً: الأسباب الاقتصادية للإرهاب في العراق

توجد أسباب داخلية وأخرى خارجية للإرهاب وكما يأتي:

1- الأسباب الداخلية

أفرزت سياسة النظام الاستبدادية والطائفية جملة من المؤشرات الاقتصادية ذات الأثر السلبي على حياة المجتمع العراقي وفيما يأتي أهم هذه الإفرازات:

(آ) القضاء على الموارد البشرية في سن العمل من خلال دفعهم الى الحروب المتواصلة حربي الخليج الأولى والثانية، وقتل الأخرين في السجون والمعتقلات والتهجير والتشريد...الخ[10].

إن سياسة النظام في قتل أعداد هائلة من الرجال ألقى بظلاله على مختلف أوجه النشاط الاقتصادي، ففي محاولة خلق وإيجاد الموارد البشرية اللازمة العملية التنموية مستقبلاً على سبيل المثال تم تعطيلها بفعل تعطيل آلية الزواج نتيجة الموت أو الإحجام بسبب هاجس المصير المجهول الذي ينتظر الشباب بجانب الإمكانات المالية اللازمة لمثل هذه الفعاليات.

(ب) انخفاض مستوى دخل الفرد العراقي، نتيجة انشغال أبناء المجتمع في الحروب التي ما أنفك أن يخرج من حرب حتى دخل أخرى، انعكس ذلك بأثر سلبي على مستوى معيشة الفرد، حتى وصل الى مستوى لا يصدق معه، فكانت من نتائج انخفاض مستوى الدخل دفع بالعديد من أبناء الشعب الى الوقوع في هاوية الانحراف والجريمة، أثقلت كاهل المجتمع، وهيئت العديد من الشباب وخصوصاً الأعداد المتسربين دراسياً والمطاردين من السلطة جراء هروبهم من أداء الخدمة العسكرية أن يصبحوا كتلة جاهزة لزرع ثقافة الارهاب والجريمة في أذهانهم مما انعكس سلباً في بناء شخصياتهم الثقافية أفرزت الحرب الأمريكية نتائجها إلا أن ما يدفعه الشعب جراء هذا الانحراف والتطرف لهذه الشريحة من المجتمع.

(ج) احلال العمالة الأجنبية محل العمالة المحلية وبنسبة تصل الى (80%) خلفت نتائج اقتصادية اجتماعية كان من أبرزها تسرب العملة الصعبة الى خارج العراق تسرباً سريعاً مما أضعف قيمة الدينار العراقي، وأفرغ البنك المركزي من احتياطي العملة الأجنبية واختلال كبير في موازين الدولة المختلفة إضافة الى خلق عجز في قدرات الدولة من الإيفاء بالتزاماتها الدولية وتسديد الديون المترتبة عليها جراء الاستيراد المتواصل للشؤون العسكرية من مختلف دول العالم وصلت الى أكثر من (120) مليار دولار، إن الحروب التي خاضها العراق والتدمير الذي لحق بالبنى التحتية، وتدمير الصناعة وتوقف صادرات النفط كلها أدت الى الإجهاز على مستلزمات غطاء العملة وبالتالي فقدان الثقة بها حتى انخفضت قيمتها الدولية مقابل الدولار الى (6000) مرة، هذه الظاهرة ألقت بظلالها على المجتمع فأصبح التعامل بالملايين من الدنانير بينما بقيَّ راتب الموظف (2000-10000) دينار.

هذه المتناقضات والسياسات المالية الفئوية تجاه الشعب العراقي باستثناء ثلة من المقربين منه، حيث يغدق العطاء عليهم بإيجاده العديد من المنافذ كالمناسبات وحملة الأنواط والأصدقاء إضافة الى إشغالهم أهم المناصب السياسية في الدولة من الداخل والخارج والأجهزة الخاصة التي كانت مقفلة ألقت بظلالها على شرائح المجتمع وكان لها أبلغ الأثر في انحراف أعداد هائلة من المواطنين نتيجة الفاقة والحرمان، فحدث انحراف اجتماعي وقلق فكري، وامتهن آخرون طريق الجريمة وهذه النتيجة حتمية لمثل هذه السياسة. فقد أشر مثل هذه النتائج لأمثال هكذا سياسة قول الإمام علي (عليه السلام) قبل أكثر من (1380) سنة إذ يقول ((إذا بخل الغني بمعروفه باع الفقير أخرته بدنياه))[11].

ولذا فإن حجب الثروة عن الناس خلق بيئة لزرع الرذيلة والانحراف والرشوة...الخ

(د) وجاءت حرب الخليج الثانية من تدمير للجيش العراقي بالآلة الأمريكية والإجهاز على أبناء الانتفاضة الشعبانية واجتياح مدنهم باستخدام الأسلحة الثقيلة والمواد الكيمياوية، والطائرات السمتية والاعتقالات العشوائية والمقابر الجماعية إضافة الى محنة الشعب العراقي في فترة الحصار الذي طبق على هذا الشعب، بحجج باطلة وأعذار واهية كان المقصود منها إرضاخ إرادة

الشعب من خلال سياسة الجوع والظلم. وكان من نتائج الحصار المطبق على الشعب العراقي من الداخل والخارج بجانب الملاحقات والاعتقالات والاعدامات والفقر والمدقع، العديد من الظواهر أهمها ما يلي:

1- بطالة متفشية نتيجة شل مجمل الحياة الاقتصادية ومن جراء الحصار.

2- التسرب الهائل للشباب من مقاعد الدراسة بحثاً عن لقمة العيش.

3- تفريغ العراق من عقوله وطاقاته الانتاجية والابداعية (العلمية والثقافية) من خلال الهجرة الجماعية الى الخارج بحثاً عن الأمان وسِّد رمق الحياة.

4- القلق الذي لاحق كل فرد جراء شبح الموت نتيجة الملاحقة وضعف الخدمات الصحية وضعف الخدمات الاجتماعية.

5- الشعور السائد لدى قطب النظام ومعنييه بالتعالي على أبناء الشعب الفقير، من خلال ما يملكونه من أموال وجاه امتهنوا بها كرامة الانسان العراقي وصادروا انسانيته، وبتبنيهم ثقافة حب الذات، وعدم احترام الأخرين منطلقين من العصبية والولاء المطلق للنظام والقتل الأعمى لأبناء الشعب، فكانت تُمارس دورها في ظل النظام دون قيد أو شرط، وهي الآن تمارس دورها بشكل سافر ومكشوف من خلال الأعمال الارهابية بقتل العراقيين وتخريب البُنى التحتية للعراق وتخريب منشأته النفطية وتعطيل عملية إعادة الإعمار.

6- إن انخفاض مستوى الدخل يعد عاملاً له أبلغ الأثر باتجاه تصعيد الارهاب مقابل الحصول على المال.

ورغم صحة جوانب عديدة في عملية تأثير مستوى الدخل وانعكاساتها على الجريمة والإرهاب إلا أنه نجد رغم تدنى مستوى دخل غالبية أبناء الشعب إلا أنهم لم يمارسوا الإرهاب، وأعتقد أن السبب يعود للشخصية الثقافية أكثر من العوامل الاقتصادية والدليل الشاخص على ذلك هو أن بناء الشخصية الثقافية على القتل والموت وحز الرؤوس تؤكد بكل وضوح ما ذهبنا إليه فالعمليات الإرهابية ضد الشعب العراقي تمارس من قبل أبناء هذه الفئة بينما لا تمارسها أبناء الفئات الأخرى.

2- الأسباب الخارجية (أثر السياسات الخارجية الاقتصادية في الارهاب)

(آ) لقد حققت بعض الشعوب الغنية كالولايات المتحدة ودول غرب اوربا مستوى عالياً من توفير الغذاء لرعاياها ويواجه رجل القرن الواحد والعشرين الكثير من المشكلات الخطيرة أهمها[12].

1- كيف يحول انسان هذه العصر دون وقوع حرب فد تكون فيها نهايته الحتمية وتمدير حضارته الانسانية.

2- كيف يمكن الاستفادة من التقدم الاقتصادي والاجتماعي الى أبعد نقطة ممكنة؟

وفي كلتا الحالتين فإنه في محاولة صراع مستمر مع الحياة من اجل البقاء في عالم أصبح فيه الكون مقسماً الى عالمين. عالم يتمتع فيه الانسان بازدهار اقتصادي واجتماعي حتى ولو كان نسبياً عند بعض الدول، وعالم أخر يعيش فيه الانسان في حالة من الجوع والفقر والحرمان الى حد الموت، ذلك الصراع بأوجهه المختلفة ولدَّ فجوة بين شعوب العالم الغنية والفقيرة[13]، ومما لا جدال فيه أن العصور القديمة كانت في هذه الناحية بصفة عامة من غير حالات المجاعة والقحط التي كانت تنشأ أبان عصور الحروب والفوضى، أحسن حالاً فكانت المواد الغذائية أوفر كماً وأحسن نوعاً وأرخص ثمناً بحيث يستطيع الجميع الحصول عليها[14].

إلا إن الانسان الحديث رغم تخطيه أشكال الماضي فيما مضى من الزمان عاد إليها في حظيرة المدنية والحضارة حتى وصلت الى ذروتها الوحشية وأصبحت تطبق قوانينها بشكل أكثر تنظيماً مما كان عليه في الأزمان السالفة، فلم يعد هذا العالم أكثر أمناً وتراحماً وعطفاً بين الناس فيما مضى بل ازدادت شهوات القلة والسيطرة والغل والحقد والأنانية وساد الظلم والفساد والتدهور الأخلاقي.

وما يتعرض له الانسان العصري من ضجيج الأسلحة والتهديدات والقلق والخوف الى غيرها من التأثيرات الأخرى المتواصلة قد زادت من توتره المستمر في أعصابه ولم يعد جدوى من أي علاج وأصبح الكثيرون يتمنون الموت أثراً للعلاج والراحة بعد أن تغلب عليهم اليأس والاحباط.

إن تلك الآثار الخطيرة لاشك أنها تهدد أمن المجتمعات وقد تدفع الى الانتقام والعنف والفوضى والتخريب كحجة قاطعة للإرهاب وبث الرعب.

(ب) هيمنة الاقتصاد الرأسمالي : أن الخلل الاقتصادي الكبير الذي تشهده بلدان العالم الثالث هو في الحقيقة نتيجة لهيمنة الاقتصاد الرأسمالي.

وهو رأيٌ غالب، لكننا لا نجد مبرراً قوياً على الاعتقاد بأن ذلك سبباً حقيقياً للإخلال باقتصادات العالم الثالث إضافة الى ذلك فإن سيطرة الشركات الكبرى المتعددة الجنسيات تفتح آفاق حرة للكسب المادي وترفع من اقتصاديات البلدان لإمكانية هذه الشركات العالمية وارتباطها بعجلة الاقتصاد الأوربي المتطور[15].

كما أنه ليس بالضرورة أن تؤدي عملية التوافق الاقتصادي بالعمل مع الشركات الكبرى تحت سيطرة الاقتصاد الرأسمالي الى الخسارة أو الوصول الى نتيجة إحداث كارثة اقتصادية.

(ج) يؤكد الواقع أن العنف والارهاب يمارس من قبل أشخاص يعانون من أوضاع اجتماعية واقتصادية سيئة أحياناً فالبطالة والتضخم ومشكلات السكن وتدنى المستوى المعيشي وعدم تناسب الأجور والأسعار قد تدفع الأفراد الى العنف والإرهاب للتعبير عن احتجاجهم على الأوضاع المتردية التي يعيشون فيها[16].

إن نظرة فاحصة الى أحوال العالم اليوم تبين أن هنالك عالمان، عالم من الأقلية غارقاً بالغنى الفاحش، وعالم من الأكثرية يعيش في حالة من الفقر والجوع والحرمان والأمراض.

وتشير دراسة معهد انعاش التنمية للأمم المتحدة الى أن خمس سكان العالم يعاني من سوء التغذية ومعظمهم في قارتي آسيا وأفريقيا، ومليار آخر يعانون الأمية، 3.1 مليار يفتقرون للمياه الصالحة للشرب، 180 مليون طفل يعانون من سوء التغذية، وأن هناك ما يزيد على 95 مليون طفل يتركون المدرسة ويتوجهون للعمل الشاق لمساعدة عائلاتهم [17].

كما ان البطالة في دول الجنوب[*] تتجاوز 30% من قوة العمل بينهم 700 مليون عاطل في الجنوب بالإضافة الى 80 مليون عملاً متقطعاً أو غير انتاجي [18].

ومما يضاعف من مشكلة الفقر والبطالة، هو مضاعفات الدين الخارجي لدول الجنوب حيث وصل الى 140 مليار دولار، ويستهلك هذا الدين نصف الدخل القومي جراء تراكم الفوائد، والفوائد المركبة بالإضافة الى تصدير التضخم السلعي، واستيراد السلاح من دول الشمال التي تأخذ جانباً كبيراً من الدخل القومي.

وهكذا يتبين لنا تراكم الثروة الهائلة في دول الشمال يقابلها في الجنوب انتشار الفقر والمجاعة والأمراض والبطالة وفقدان الخدمات الاجتماعية وتردي الخدمات الصحية، وارتفاع نسبة وفيات الأطفال الى عشرة أمثالها في دول الشمال.

هذه الحالة هي التي خلقت البيئة الواسعة للإرهاب فالإنسان الذي يعمل ويتمتع بدخل يحقق له الحياة الكريمة لا يمكن ان يفكر في التحول نحو العصابات الإرهابية.

(د) وفي العراق اليوم الحالة معكوسة، فالعراق بلد غني ويطفو على بحيرة من النفط في الوقت الذي يحرم مواطنوه من أبسط الحقوق الاقتصادية نتيجة سياسات الأنظمة المتوالية على حكمه لأسباب عديدة خارجية وداخلية لا يسع المجال لذكرها هنا.

هذه الإمكانات خلقت المسوغات الحقيقية للاحتلال الأمريكي بغية الهيمنة على هذه الثروة والتي تقدر بـ (250) مليار برميل.

تمكن العراق من الانتاج بمعدل 15 مليون برميل يومياً الى نهاية القرن بينما سينضب البترول في الولايات المتحدة الأمريكية بحدود 12 عام [19].

هذه المسوغات دفعت الولايات المتحدة وبريطانيا لاحتلال العراق وانتهاجها السياسة التخبطية في محاولة لبناء نظام سياسي ضعيف يخدم المصالح الأمريكية كانت من نتيجته أصبح العراق البيئة المناسبة للإرهاب بدعم من الأطراف الخارجية المتصارعة وهي طرفين للاستحواذ على البترول يقابلها الطرف الأخر المتخوف من بقاء الولايات المتحدة في العراق وسعيه الحثيث لتفويض الاحتلال داخل العراق وفي كلتا الحالتين فإن الشعب العراقي يدفع أنهار من الدماء جراء صراع الأطراف الخارجية وتوابعها الداخلية.

3- تحقيق المطالب السياسية أو الاقتصادية

* المقصود بدول الجنوب هي الدول النامية او المتخلفة [انظر سارة زقيبة مفهوم دول الجنوب mawdoo3.com]

إن من الأسباب الرئيسية وراء تخريب المنشآت النفطية والبنى التحتية الرئيسة واقتحام السفارات والممثليات والملحقيات الثقافية هو تحقيق أغراض سياسية أو اقتصادية بغض النظر عن نتائج العمل الإرهابي الذي يذهب ضحيته الكثير هم في الحقيقة أبرياء، ولكنهم تواجدوا في مسرح الحدث، فهم ضحايا السيارات المفخخة في الشوارع أو تفجير المطاعم أو نسف مكاتب البريد وغيرها من الأعمال الإجرامية، كما أنها تشيع الخوف والذعر والرعب في العالم.

ولو نظرنا الى العمليات الارهابية التي استخدمتها منظمة الباسك في إسبانيا من تخريب ضد المنشآت السياحية الإسبانية أدى الى هروب عدد كبير من السائحين وعزوفهم عن زيارة إسبانيا مما أثر على دخلها وإرغام الدولة على الاستجابة لبعض مطالب المنظمة[20]. وأيضاً العمليات الإرهابية التي استخدمها الجيش الجمهوري الايرلندي ضد المنشآت البريطاني، مما أدى الى هروب عدد كبير من السائحين وعزوفهم عن زيارة بريطانيا، وكان له أثراً واضحاً على السياسة البريطانية عندما دعت للتفاوض معهم والاستجابة لمطالبهم الى حد كبير [21].

وكذلك ما قام به أعضاء متطرفين بعمليات تفجير واسعة في القسم الأوربي من تركيا وبالتحديد مدينة اسطنبول أدى الى هروب عدد كبير من السائحين وعزوفهم عن زيارة تركيا فكان لذلك أثراً بالغاً على الاقتصاد التركي والسياسة التركية[22].

وما اشتهرت فيه المنظمات الارهابية الألمانية والايطالية في ارتكاب الجرائم المنظمة أكثر من غيرها من المنظمات الإجرامية وكان هدفها هو الحصول على أموال حتى عن طريق التعاون مع جهات خارجية تتفق معها في استراتيجية مشتركة [23].

يهدف الى خلق شعور لدى الشركات الأمريكية باستحالة الاستثمار في العراق وما يجري في العراق والنتيجة هي تفرد المحتل بهذه الثروة عندما يرتئي. هذه الأسباب وأخرى وجدت من إذكاء الصراع العقيدي لها موضعاً وأخرى متعلقة بمصالح الدول المجاورة خلق بيئة مناسبة للإرهاب.

ثالثاً: الاستنتاجات والتوصيات

وفي ختام البحث يمكن إجمال خلاصة البحث وأهم التوصيات في النقاط الآتية:

1- الاستنتاجات

(آ) تمثل النظم الاستبدادية أهم العوامل المسببة للإرهاب على مستوى الفرد والمجتمع مما له أبلغ الأثر في إيجاد بؤر التوتر والاضطراب وخلق ردود فعل معادية للنظم الاستبدادية في الوقت الذي تزداد فيها ردة فعل النظام وبطشه للشعب في محاولة لإخضاع الشعب وهيمنة النظام.

(ب) السياسات الخاطئة من قبل الدول العظمى تجاه الشعوب ومحاولة فرض هيمنتها بالقوة دون إعارة اهتماماً لمصالح الشعوب ومشاعرها مما ينعكس ذلك على شكل أعمال ارهابية تمثل رد فعل طبيعية لهذه السياسات.

(ج) القلق الفكري الذي أوجده الاستعمار من خلال ثقافاته أو من خلال استعماره المباشر ولد حالة من ردود الفعل الغير مدروسة وحالة من التخبط دون تشخيص دقيق للمشكلة كان نتيجتها رد فعل عنيف على هيئة فعاليات تتسم أحياناً بمظاهر إرهابية غير مقصودة.

(د) الظلم الذي لحق بالشعوب جراء فقدان العدالة وطمس الحريات سواء كانت من قبل الأنظمة السياسية مباشرة أو جراء ظلم المستعمرين أو الاثنان معاً.

(هـ) كثرة الحروب كان لها أثراً كبيراً في خلق نوع من ثقافة القتل والتدمير تعود عليها أبناء الشعب حتى صارت ظاهرة مرافقة لسلوكيات العديد من أبناءه، يمكن العودة لها في أية حالة من الاضطرار بسبب ضغوط سياسية أو نقص مالي.

(و) قرارات الأمم المتحدة المجحفة بحق الشعوب الفقيرة نتيجة السياسات الخاطئة لأنظمتها السياسية يدفع ثمنها الشعب مما تدفع به الى التعبير عن سخطه في العديد من الأعمال الارهابية تجاه الأطراف التي يعتقد بأنها سبباً وراء هذه القرارات.

(ز) تدني المستوى المعيشي لأعداد كبيرة في مناطق مختلفة من العالم في الوقت الذي ترمى آلاف الأطنان من الطعام في البحار خوفاً من عرضها كي لا تنخفض أسعارها وهذه من نتائجها الكثير من العمليات الارهابية.

(ح) الفجوة الكبيرة في الفهم والتفكير وفي مستويات الحياة والتكنولوجيا والاتصالات بين الدول المتقدمة والأخرى المتأخرة خلّفه حالة من التوتر وانعدام لغة التفاهم بين الشعوب أدت بالنتيجة الى ورود ظاهرة الارهاب كرد فعل لاختلاف الرؤى في النظرة للحياة من مختلف الزوايا.

(ط) إن انعدام النظم الديمقراطية وبخس الناس حقوقهم مهدَّ الطريق أمام الفئات والأقليات والقوميات والطوائف المغيبة في التعبير عن حقوقها من خلال الارهاب بغية الاستجابة لتحقيق مطاليبها.

إن ما تم التوصل إليه والتي ألمح إليها البحث تشكل جزءاً من الكثير من النقاط يمكن التوصل لها فيما لو بحثت ظاهرة الارهاب من مختلف جوانبها.

2- التوصيات

ان تشخيص العلل لا يعطي بُعداً حقيقياً لمشكلة الارهاب للقارئ الكريم ذلك ان تشخيص المشكلة يحتاج الى علاج ويحاول هذا البحث أن يثبت بعض التوصيات لعلها تفيد في بلورة طريق العلاج لمثل هذه الظاهرة الخطيرة وأهم هذه التوصيات هي:

(آ) يعاني العراق اليوم من تنامي الارهاب، وفقدان الأمن، وتدهور الحالة المعيشية للشعب، وانتشار البطالة والأمراض الفتاكة والخراب الذي شمل كل مرافق البلاد والذي تتحمل الولايات المتحدة مسؤولية كبرى عما آلت إليه هذه الأوضاع، وهي التي شنت الحرب الأخيرة حيث انتهت بسقوط النظام السابق وتركت البلاد دون جيش لتعبث العصابات التي أطلق سراحها النظام السابق قبل سقوط حكمه فساداً وتخريباً وإحراقاً لكل المرافق العامة ولم تتخذ أي إجراء لصيانة الأمن والنظام العام، فكانت النتيجة تنامي النشاط الارهابي في البلاد وبشكل رهيب، وكان لكثرة البطالة والفقر المدقع ساعد على انتشار الارهاب في أكثر من بيئة.

لذا لابد للولايات المتحدة الأمريكية من مراجعة سياستها في العراق والتعامل مع قرارات الأمم المتحدة بمسؤولية تمكنها من تقليل الهوة التي خلقتها مع الشعب العراقي واستخدام الحوار والتعامل بحسن نية كما معلن في القرارات لعلة بحجم الارهاب. وأن تنتهج سياسة عادلة تجاه الشعوب كافة ودعم النظم الديمقراطية التي تحترم حقوق الانسان، والتخلي عن دعم الأنظمة الدكتاتورية والفاشية، وتثبيت الإعلان العالمي لحقوق الانسان في صلب القانون الدولي، والعمل بكل ما من شأنه إقرار الأمن والسلام في العالم أجمع.

(ب) سياسة اقتصادية عادلة تعالج مشكلة الفقر والجوع والتخلف والأمراض والأُمية في عالم الجنوب، وتخصيص جزء من الثروة الهائلة التي يحصل عليها عالم الشمال من اجل بناء عالماً جديداً في ظل نظام ديمقراطي عادل لا يحقق الحياة الكريمة لجميع الشعوب.

(ج) الحوار المتبادل بين الشعوب والحضارات بغية تذليل العراقيل في طريق التقارب الفكري حول العديد من الاشكاليات واستخدام وسائل الاتصال والتقنيات الحديثة لخدمة التقارب بدل استخدامها لتعميق الهوة كما يحدث الآن عبر الفضائيات وخصوصاً العربية.

(د) السعي العالمي لبناء نظم ديمقراطية في مختلف أنحاء العالم بما يمكن الشعوب التحرر من الاستبداد بوما يحافظ على هوية الشعوب وعقائدها خصوصاً وفي الديمقراطية متسعاً لاستيعاب مختلف رؤى الشعوب وتوظيفها ضمن آليات النظام الديمقراطي لكل بلدان العالم.

الهوامش

1) د.جليل وديع، العنف والجريمة، الدار العربية للعلوم، ص49- مصطفى مجاز، التخلف الاجتماعي، مدخل الى سيكولوجية الانسان المقهور معهد الانماء العربي، بيروت 1976، ص281.
2) البقرة آية 173.
3) نضال القيد، ج4، دار الطلبة، بيروت.
4) د.قاسم سلام،، البعث والوطني العربي، منشورات العالم العربي، باريس، ص246.
5) محمد باقر الحكيم، الوجه الآخر لنظام الحاكم في بغداد، ص31/19.
6) من منشورات منظمة العمل الاسلامي في العراق، رسائل وصور في جحيم البعث، ص23.
7) يمكن العودة الى قرارات الأمم المتحدة بعد غزو الكويت.
8) السياسة العراقية، المنطلقات، الممارسات، الأهداف، بدون مطبعة ومكان طبع وسنة الطبع، ص31. وأنظر أيضاً:
- حسن العلوي، الشيعة والدولة القومية في العراق 1914-1990، دار الثقافة للطباعة والنشر، إيران، قم. جميع صفحات الكتاب.
9) حسن العلوي، الشيعة والدولة القومية في العراق- مصدر سابق، ص47.
10) عبد الحميد العباسي، صفحات سوداء من البعث العراقي، مطبعة دار التراث العربي، ط1، ج2، لندن، 1988.
- منظمة العفو الدولية، تكشف جرائم التعذيب في العراق، ترجمة مركز الإعلام الحزبي للجمهورية الاسلامية في إيران.
- حركة الجماهير المسلمة في العراق، التعذيب الوحشي في زنزانات البعث، منشور.
11) نهج البلاغة، قصار الحكم، رقم (372)
12) من بيانات الهيئة العليا للتغذية والزراعة.
13) فهد العبد الله، حقيقة الارهاب عبر العصور، ط1، بغداد، 2004.
14) احمد حسين المحامي، الطاقة الانسانية، عام 1988، ص61.
15) فهد العبد الله، مصدر سابق، بغداد، 2004، ص90- ص93.
16) محمد عبد الله السيدي، ماذا وراء ظاهرة العنف في العالم. مجلة الأمن والحياة، العدد 45، 1986، ص34.
17) https//ar.m.Wikipedia.org صندوق النقد الدولي.
18) https//ar.m.Wikipedia.org
19) www.aljazzeera.net pages special files
20) د.احمد جلال عزي الدين، مكافحة الارهاب، مطابع دار الشعب، القاهرة، 1987، ص117.
21) فهد العبد الله، حقيقة الارهاب عبر العصور، مصدر سابق، ص18.
22) المصدر نفسه، ص19.
23) المصدر نفسه، ص144.

المصادر

1. القرآن الكريم
2. الحكيم، محمد باقر، الوجه الآخر للنظام الحاكم في بغداد. (ب.د.ت).
3. حركة الجماهير المسلحة في العراق، التعذيب الوحشي في زنزانات البعث، منشورات سرية للمعارضة في الخارج.
4. حجازي، مصطفى، التخلف الاجتماعي، مدخل سيكولوجية الانسان المقهور، معهد الانماء العربي- بيروت 1976.
5. السياسة العراقية- المنطلقات والممارسات، الأهداف، بدون مكان طبع وبدون طبعة.
6. سيدي، محمد عبد الله، ماذا وراء ظاهرة العنف في العالم، مجلة الأمن والحياة، العدد 45، 1986.
7. العلوي، حسن، الشيعة والدولة القومية في العراق، 1914-1990 دار الثقافة للطباعة والنشر، ايران، قم.
8. العباسي، عبد الحميد، صفحات سوداء من بعث العراق، مطبعة التراث العربي، ط1، ج2، لندن 1988.
9. العبد الله، فهد، حقيقة الارهاب عبر العصور، ط1، بغداد، 2004.
10. عز الدين، احمد جلال، مكافحة الارهاب، مطابع دار الشعب، القاهرة، 1987.
11. فرح، إلياس، تاريخ حزب البعث العربي، بغداد.
12. قرارات الأمم المتحدة بعد غزو الكويت.
13. من منشورات منظمة العمل الاسلامي في العراق، رسائل وصور من جحيم البعث. (ب مكان طبع).
14. منظمة العفو الدولية، تكشف جرائم التعذيب في العراق، ترجمة مركز الاعلام الحربي للجمهورية الاسلامية في ايران.
15. من بيانات الهيئة العالمية للتغذية والزراعة.
16. المحامي، احمد حسين، الطاقة الانسانية، ب مكان طبع، 1988.
17. نهج البلاغة، قصار الحكم، رقم 372ز
18. نضال البعث، ج1.
19. د.وديع، جليل، العنف والجريمة، الدار العربية للعلوم.
20. https//ar.m.Wikipedia.org
21. www.aljazzeera.net pages special files